الفصل الثامن
توضيحات العهد الجديد
(الأناجيل)

قدمنا هذا الفصل بشكل أساسي الآيات الموجودة في الأناجيل والتي قد يستخدمها البعض لتدعيم التعليم القائل بتعدد الأشخاص (الأقانيم) في الطبيعة الإلهية. وبالرغم من أن الفصل التالي سيناقش الفقرات الكتابية من الأعمال إلى الرؤيا، إلا أن هذا الفصل سيناقش أيضاً بعضاً منها حيث أنها ترتبط ببعض الأسئلة التي تبرز في الأناجيل. وعلينا أن نجعل هذه الآيات الكتابية تتوافق مع بقية كلمة الله، والتي تعلمنا أن الله واحد. ومن الواضح أن هذه الآيات تدعم بكل جلاء وحدانية الله عندما يتم فهمها بشكل صحيح.

أربع نقاط أساسية للمساعدة على الفهم

قبل البدء في مناقشتنا، دعونا نؤكد على أربع نقاط أساسية. إذا فهمناها بوضوح، فإن معظم الآيات التي قد تبدو صعبة في الكتاب المقدس ستصبح قابلة للتفسير.

١- عندما نرى صيغة جمع (خاصة صيغة المثنى) تستخدم للإشارة إلى يسوع، علينا أن نفكر في لاهوت وناسوت يسوع المسيح. فهناك ثنائية حقيقية، ولكنها للتمييز بين الروح والجسد، وليس للتمييز بين شخصيات في داخل الله.

٢- عندما نقرأ فقرة صعبة تتعلق بيسوع، علينا أن نسأل إذا كانت تصفه في دوره كإله أم دوره كإنسان، أم كلاهما معاً. هل يتكلم كإله أم كإنسان في هذا الموقف؟ تذكر أن ليسوع طبيعة ثنائية لم يتمتع أي شخص آخر بطبيعة مثلها إطلاقاً.

٣- عندما نرى صيغة جمع تتعلق بالله، علينا أن ننظر إليها كتعدد في الأدوار أو في العلاقات مع البشر، وليس تعدداً في الشخصيات.

٤- علينا أن نتذكر أن كُتَّاب العهد الجديد لم يكن لديهم تصور عن عقيدة الثالوث، والتي لم تظهر إلا بعد مرور سنين عديدة من الوقت الذي دُوِنت فيه الأسفار المقدسة. إذ أنهم قد جاءوا من خلفية يهودية تؤمن بالتوحيد بشكل صارم؛ ومن ثم فإن وحدانية الإله كانت أمراً ثابتاً ولم تكن قضية محل جدال على الإطلاق. بعض الفقرات ربما تبدو لنا "تثليثية" للوهلة الأولى لأن التثليثيين عبر القرون قد استخدموها وفسروها طبقاً لعقيدتهم. ولكن بالنسبة للكنيسة الأولى – التي لم يكن لديها تصور عن العقيدة التي ستظهر في المستقبل عن التثليث – فهذه الفقرات نفسها كانت عادية وطبيعية، وقابلة للفهم في ضوء إدراكهم لله القدير في المسيح. فبالنسبة لهم لم يكن هناك تعارض بين وحدانية الله الصارمة وبين ألوهية يسوع.

وبهذه النقاط الأربع في أذهاننا، دعونا ننتقل إلى بعض الفقرات المحددة في الكتاب المقدس.

معمودية المسيح

"فلما أعتمد يسوع صعد للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وأتيا عليه. وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"(متى٣:١٦-١٧).

بحسب هذه الفقرة، فإن ابن الله أعتمد، والروح نزل مثل حمامة، وصوت تكلم من السموات. ويضيف (لوقا ٣: ٢٢) معلومة أخرى وهي أن "ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة...."

لفهم هذا المشهد بشكل صحيح، علينا أن نتذكر أن الله موجود في كل مكان. ويسوع هو الله، وكان هو الله الظاهر في الجسد بينما كان على الأرض. ولم يكن يستطيع أن يتنازل عن حضوره في كل مكان أثناء حياته على الأرض لأن ذلك من صفات الله الأساسية، والله لا يتغير. وبالطبع، فإن جسد المسيح لم يكن موجوداً في كل

مكان، ولكن روحه كان كذلك. والأكثر من هذا، فإنه بالرغم من أن كل صفات الله كانت في جسد يسوع، إلا أن روح يسوع السرمدي الموجود في كل مكان لم يكن محدوداً. لذلك، فإن يسوع يمكن أن يوجد على الأرض وفي السموات في ذات الوقت (يوحنا ٣: ١٣) أو مع اثنين أو ثلاثة من تلاميذه في أي وقت (متى ١٨: ٢٠).

وبأخذ حضور الله الكلي في الاعتبار يمكننا أن نفهم معمودية المسيح بسهولة شديدة. فإنه لم يكن صعباً على الإطلاق بالنسبة لروح يسوع أن يتكلم من السماء وأن يرسل تجسداً لروحه في صورة حمامة حتى أثناء وجود جسده البشري في نهر الأردن. فالصوت والحمامة لا يمثلان أشخاصاً منفصلين، تماماً مثلما أن إشارة صوت الله من جبل سيناء لا يمكن أن تعني أن الجبل كان شخصاً مستقلاً وعاقلاً وأحد الأقانيم الإلهية.

بما أن الصوت والحمامة كانا استعلاناً رمزياً لله الواحد الموجود في كل مكان، فمن الواجب أن نتساءل عما كانا يمثلان.

وماذا كان الغرض منهما؟

أولاً: علينا أن نسأل عن الغرض من معمودية يسوع. فبالتأكيد لم يعتمد يسوع ليتطهر من خطاياه كما نفعل نحن، لأنه كان بلا خطية (١بطرس ٢: ٢٢)، ولكن بدلاً من هذا، يقول الكتاب المقدس إنه أعتمد ليكمل كل بر (متى ٣: ١٥). وهو مثالنا لذلك فقد أعتمد ليترك لنا مثالاً لنتبعه (١بطرس ٢: ٢١).

ثانياً: وأتخذ يسوع من المعمودية وسيلة ليعلن نفسه، أو ليظهر نفسه، لإسرائيل (يوحنا ١: ٢٦-٢٧، ٣١). وبمعنى آخر، فإن يسوع استخدم المعمودية كنقطة البداية لخدمته. فقد كانت إعلاناً عاماً عن شخصه وعما سيفعله. على سبيل المثال، في معمودية المسيح، عرف يوحنا المعمدان من هو يسوع. فهو لم يكن يعرف أن يسوع هو المسيا بالفعل قبل المعمودية، وبعد المعمودية كان قادراً على أن يعلن للناس أن يسوع هو ابن الله وحمل الله الذي يرفع خطية العالم (يوحنا ١: ٢٩-٣٤).وبعد معرفتنا أهداف معمودية المسيح، دعونا

نرى كيف ساعد الصوت والحمامة على تحقيق هذه الأهداف.

يؤكد (يوحنا ١: ٣٢-٣٤) بوضوح على أن الحمامة كانت علامة لأجل يوحنا المعمدان. لأن يوحنا كان الصوت الصارخ في البرية (إشعياء ٤٠: ٣)، فكان يحتاج أن يعرف أن يسوع هو يهوه الظاهر في الجسد. وقد أخبر الله يوحنا أن الشخص الذي سيعمد بالروح القدس سيعرفه من نزول الروح عليه. وبالتأكيد، فإن يوحنا لم يكن قادراً على أن يرى روح الله وهو يمسح المسيح، لذلك اختار الله حمامة كعلامة مرئية لروحه. لذا فإن الحمامة كانت علامة خاصة لأجل يوحنا لتجعله يعرف أن يسوع هو يهوه وأيضاً المسيا.

الحمامة كذلك كانت نوعاً من المسحة لتحديد بداية خدمة المسيح. ففي العهد القديم، الأنبياء والكهنة والملوك كانوا يمسحون بالزيت للتعبير عن اختيار الله لهم (خروج٢٨:٤١؛ ١ملوك ١٩: ١٦). والكهنة خاصة كان يتم اغتسالهم بالماء ويمسحون بالزيت (خروج ٢٩: ٤، ٧). والزيت يرمز إلى روح الله. وقد تنبأ العهد القديم أن يسوع سيسمح بنفس الطريقة (مزمور٢:٢؛ ٤٥:٧ ؛ إشعياء٦١:١). وفي الحقيقة، فإن الكلمة العبرية (مسيا) والتي تعني المسيح في العربية تعني (الممسوح). ويسوع جاء ليتمم عمل الأنبياء والكهنة والملوك (أعمال٣:٢٠-٢٣؛ عبرانيين٣:١؛ رؤيا ١: ٥). وجاء أيضاً ليتمم الناموس (متى ٥: ١٧-١٨)، ولكي يحفظ الناموس كان عليه أن يُمسَح كنبي وكاهن وملك.

ولأن يسوع كان الله نفسه وإنساناً بلا خطية، فإن مسحه بواسطة إنسان خاطئ ومسحه بزيت رمزي لم يكن كافياً. وبدلاً من هذا، فإن يسوع مسح مباشرة بواسطة روح الله. لذلك، فبمعمودية يسوع بالماء، مُسح يسوع رسمياً ليبدأ خدمته الأرضية، ليس بزيت رمزي ولكن بالروح القدس في صورة حمامة.

والصوت أتى من السماء لأجل الناس. ويسجل (يوحنا ١٢: ٢٨-٣٠) حادثة مماثلة والتي أتى فيها صوت من السماء وأكد على إلوهية يسوع للناس. وقال يسوع إن هذا الصوت جاء لأجل الناس وليس لأجله.

فالصوت كان طريقة الله لتقديم يسوع لإسرائيل كابن الله. فالكثير من الناس كانوا موجودين أثناء معمودية يسوع والكثير كانوا يعتمدون (لوقا ٣: ٢١)، لذلك أختار الروح الإنسان يسوع وأعلن للجميع أنه ابن الله بصوت معجزي من السماء. وكان هذا أكثر تأثيراً وإقناعاً مما لو كان الإعلان جاء من يسوع كإنسان. وفي الحقيقة، فإنه يتضح أن هذا الإعلان المعجزي حقق بشكل كامل هدف يسوع من معموديته.

ومعمودية يسوع لا تعلمنا أن الله ثلاثة أشخاص بل تعلن فقط عن وجود الله في كل مكان وبشرية ابن الله. فعندما يتكلم الله إلى أربعة أشخاص مختلفين في أربعة قارات مختلفة في نفس الوقت، فنحن لا نفكر في أربعة أشخاص إلهية، بل في حضور الله الكلي (وجود الله في كل مكان). فالله لم يقصد من المعمودية أن يعلن لليهود الموحدين المشاهدين إعلاناً جديدا كلياً عن التعدد في الذات الإلهية، ولا يوجد دليل على أن اليهود فسروه على هذا النحو. وحتى الكثير من علماء اللاهوت المعاصرين لا يرون معمودية المسيح كإشارة إلى التثليث بل كإشارة إلى "مسحة يسوع الإلهية كالمسيا ".

الصوت من السماء

ثلاث مرات في حياة يسوع يأتي صوت من السماء: في معموديته وفي التجلي (متى ١٧: ١-٩)، وبعد دخوله الانتصاري إلى أورشليم (يوحنا ١٢: ٢٠-٣٣). ونحن قد شرحنا أن الصوت لا يشير إلى شخص منفصل في الذات الإلهية بل فقط إلى إظهار آخر للحضور الكلي لروح الله في كل مكان.

وفي كل من هذه المواقف الثلاثة، لم يكن الصوت لأجل يسوع بل لأجل الآخرين، وكان يأتي لهدف محدد. فكما قد ناقشنا سابقاً، فإن الصوت في معمودية المسيح كان جزءاً من إعلان بداية خدمته الأرضية. وهذا كان لأجل الناس، كما كانت الحمامة لأجل يوحنا. ويقدم الصوت يسوع كابن الله: "...هذا هو ابني الحبيب،

الذي به سررت " (متى ٣: ١٧). وبكل تأكيد كان الصوت عند التجلي لأجل التلاميذ الحاضرين، لأن الرسالة كانت: "...هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا" (متى ١٧: ٥). والإظهار الثالث للصوت الإلهي حدث عندما جاءت مجموعة من اليونانيين (يبدو أنهم من الأمم المتهودين) لكي يروا يسوع. وأوضح يسوع أن الصوت جاء ليس من أجله بل من أجل الناس (يوحنا ١٢: ٣٠).

صلوات المسيح

هل تشير صلوات المسيح إلى تمايز بين يسوع والله؟ لا. بل على العكس، فإن صلاته تشير إلى تمايز بين ابن الله وبين الله. فيسوع كان يصلي في طبيعته البشرية، وليس الإلهية. فلو كانت صلوات يسوع تبرهن أن طبيعة يسوع الإلهية مختلفة عن الآب، فهذا يعني أن يسوع أدنى من الآب في الألوهية. وبمعنى آخر، إذا كان يسوع يصلي كإله إذا فإن مركزه الإلهي أدنى بكيفية ما بالنسبة إلى "الأقانيم" الأخرى. وهذا المثال يقضي تماماً على تساوى الاقانيم في الثالوث .

إذا فكيف يمكن أن يصلي الله ويظل إلهاً؟ الأمر البديهي أن الله بقدرته غير المحدودة لا يحتاج أن يصلي، وفي وحدانيته لا يوجد شخص آخر يمكن أن يصلي له. فإذا كانت صلوات يسوع تثبت أنه يوجد شخصان في الذات الإلهية، إذا فإن واحداً من هذين الشخصين خاضع للآخر ولذلك فهو ليس إلهاً كاملاً أو حقيقياً.

إذا فما هو التفسير لصلوات المسيح؟ من الممكن فقط أن يكون التفسير هو أن طبيعة يسوع البشرية تصلي إلى روح الله السرمدي. فطبيعته الإلهية لم تحتاج المساعدة ولكن طبيعته البشرية فقط احتاجت لذلك. كما قال يسوع في بستان جثسيماني و"..أما الروح فنشيط أما الجسد فضعيف" (متى ٢٦: ٤١). وتوضح (عبرانيين٥:٧) أن يسوع أحتاج أن يصلي فقط أثناء "الذي في أيام جسده...". وفي صلاته في جثسيماني، أخضعت الإرادة البشرية نفسها للإرادة الإلهية. وأثناء الصلاة

تعلمت الطبيعة البشرية الخضوع والطاعة لروح الله (فيلبي ٢: ٨ ؛ عبرانيين٥:٧-٨). وهذا لم يكن صراعاً بين إرادتين إلهيتين، ولكنه صراع بين الإرادة البشرية والإرادة الإلهية في يسوع. وكإنسان أخضع يسوع نفسه لروح الله ونال قوة منه.

ربما يعارض البعض هذا التفسير، قائلين إن هذا يعني أن يسوع كان يصلي لنفسه. غير أننا يجب أن نعرف أن يسوع، على عكس كل البشر الآخرين، كان لديه طبيعتان كاملتان تماماً – بشرية وإلهية. فما يبدو غريباً أو مستحيلاً لأي إنسان آخر لا يكون غريباً بالنسبة ليسوع. ونحن لا نقول إن يسوع كان يصلي لنفسه، لأن ذلك يوحي بشكل خاطئ أن يسوع كان لديه طبيعة واحدة مثل البشر العاديين. ولكننا نقول إن الطبيعة البشرية ليسوع كانت تصلي لروح يسوع الإلهي الذي سكن في الإنسان.

الاختيار بسيط. فإما أن يسوع كإله كان يصلي للآب أو أن يسوع كإنسان كان يصلي للآب. إذا كان الاختيار الأول صحيحاً فإن لدينا شكل من أشكال الخضوعية أو الأريوسية (Arianism) والذي فيه أحد الأقانيم الإلهية يكون أدنى من وغير مساوٍ للاقنوم الآخر في الطبيعة الإلهية. وهذا يتعارض مع المفهوم الكتابي عن الله الواحد، والإلوهية الكاملة ليسوع، وقدرة الله الكلية. أما إذا كان الاختيار الثاني هو الصحيح، ونحن نؤمن أنه هو الصحيح فعلاً، فهذا يعني أنه لا يوجد تمايز بين الشخصيات في الذات الإلهية. والتمايز الوحيد هو بين اللاهوت والناسوت، وليس بين الله والله.

«إلهي، إلهي ، لماذا تركتني»

هذه الآية (متى ٢٧: ٤٦) لا يمكن أن تكون وصفاً لانقسام فعلي بين الآب والابن لأن يسوع هو الآب. فيسوع قال "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠). والكتاب المقدس أكد على أن "...الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم و واضعاً فيه المصالحة " (٢كورنثوس٥:١٩). فيسوع هو الله الآب الظاهر في الجسد لكي يصالح العالم لنفسه. وصرخة يسوع على الصليب لا تعني أن روح الله قد أنفصل عن الجسد، بل أنه لم توجد مساعدة من الروح في موته الكفاري لكي يحل محل البشرية الساقطة. لم يكن ذلك أن أقنوماً إلهياً تخلى عن الأقنوم الآخر، بل أن الطبيعة البشرية شعرت بغضب الله ودينونته على خطايا البشرية.

لم يكن هناك ابنان- ابن إلهي وابن بشري- بل طبيعتان- إلهية وبشرية- أتحدتا في شخص واحد. لا يمكن أن ينفصل الروح الإلهي عن الطبيعة البشرية وتستمر حياتها. ولكن في معاناته وتجرعه لكأس الاحتضار، تألم يسوع بآلام خطايانا. وأصبح الاحتضار موتاً عندما أسلم الروح.

وبمعنى آخر، فإن ما كان يعنيه يسوع عندما صرخ "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" هو أنه أخذ مكان الإنسان الخاطئ على الصليب وتحمل العقاب كاملاً لأجل الخطية. فلم يكن هناك تخفيفاً للمعاناة بسبب ألوهيته. فلأن الجميع أخطأوا (رومية٣:٢٣) وأجرة الخطية هي موت (رومية ٦: ٢٣)، فكل البشر (ما عدا المسيح الذي هو بلا خطية) استحقوا الموت. والمسيح أخذ مكاننا وعانى الموت الذي كنا نستحقه (رومية٥:٦-٩). كان يسوع أكثر من شهيد شجاع مثل أستفانوس، وأكثر من ذبائح العهد القديم، لأنه مات بدلاً عنا واختبر الموت مرة واحدة الذي كنا نستحقه. وعلى الصليب، ذاق الموت لأجل كل واحد (عبرانيين٢:٩). وهذا الموت كان أكثر من كونه موتاً جسدياً؛ لأنه تضمن أيضاً موتاً روحياً، الذي هو الانفصال عن الله (٢تسالونيكي ١: ٩؛ رؤيا ٢٠ : ١٤).

لا يوجد أي إنسان يعيش على الأرض اختبر هذا الموت الروحي في أقصى درجاته، لأننا جميعاً به نحيا ونتحرك ونوجد (أعمال ١٧: ٢٨). حتى الملحد يتمتع بالكثير من الأشياء الصالحة مثل السعادة والحب والحياة ذاتها. فكل شيء صالح هو من الله (يعقوب ١: ١٧)، وكل الحياة تنشأ بواسطته وتعتمد عليه. ولكن يسوع ذاق الموت المطلق – الذي هو الانفصال عن الله – ذلك الشعور الذي سيشعر به الخطاة في بحيرة النار. فقد شعر بالمعاناة النفسية واليأس والضياع كما لو كان إنساناً متروكاً من الله إلى الأبد، لقد صرخت طبيعة يسوع البشرية على الصليب لأن يسوع حمل كل خطية العالم وشعر بالعقاب الأبدي الذي هو الانفصال عن الله لأجل هذه الخطيئة (١بطرس ٢: ٢٤).

ولا يجب علينا أن نفترض أن روح الله فارق جسد يسوع في اللحظة التي نطق فيها هذه الكلمات "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" فالروح الإلهي ترك الجسد البشري فقط عند الموت. ويقول(عبرانيين ٩: ١٤) إن المسيح قدم نفسه لله بروح أزلي. والأكثر من هذا أن يسوع أخبر تلاميذه عن موته قائلاً:

"هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدي وأنا لست وحدي لأن الآب معي" (يوحنا ١٦: ٣٢). لذلك، فإن الروح الآزلي لله، الآب، لم يفارق الجسد البشري للمسيح حتى موته.

كيف يحدث التواصل المعرفي بين الأقانيم في الذات الإلهية؟

يظن البعض أن الكتاب المقدس يصف انتقالاً للمعرفة بين أشخاص (أقانيم) مستقلة في الذات الإلهية. وهذه فكرة خطيرة لأنها تدل ضمناً على أنه ربما يوجد أقنوم إلهي يعرف شيئاً والأقنوم الآخر لا يعرفه. وهذا يلمح إلى عقيدة انفصال الشخصيات والعقول في الله، الأمر الذي بدوره يقود إلى التثليث الإلهي وتعدد الآلهة.

دعونا ننظر إلى بعض الفقرات في الكتاب المقدس التي تحتاج إلى بعض التوضيح. يقول (متى ١١: ٢٧): "...ليس أحد يعرف الابن إلا الآب. ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له." هذه الآية تؤكد ببساطة على أنه لا يوجد أحد يمكنه أن يفهم من هو الابن (الله الظاهر في الجسد) إلا بإعلان إلهي من (الآب). وهذا الأمر كان في فكر يسوع بلا شك عندما قال لبطرس" ...إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات" (متى١٦:١٧). ونحن نعرف أنه لا يستطيع إنسان أن يقول إن يسوع هو رب إلا بالروح (١كورنثوس١٢:٣). وكذلك، فإن الآب قد أعلن عن طبيعته وصفاته للإنسان بالتجسد- في يسوع المسيح، ابن الله.

و يقول في (رومية ٨: ٢٦-٢٧): "... ولكن الروح نفسه يشفع فينا..." و "ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح...". وتشير هاتان العبارتان إلى تعدد وظائف الروح. فمن ناحية، ويسكب الله روحه في قلوبنا ليعلمنا أن نصلي وليصلي من خلالنا. ومن ناحية أخرى، فإن الله يسمع صلواتنا ويفحص ويعرف قلوبنا ويفهم الصلوات التي رفعت من خلالنا بواسطة شفاعة روحه. فهذه الآية الكتابية لا تلمح إلى انفصال بين الله وروحه، لأن الله هو روح. وكذلك لا تشير إلى انفصال بين المسيح كفاحص لقلوبنا وبين الروح كشفيع، لأن الكتاب المقدس يقول أيضاً إن المسيح صار شفيعاً لنا (عبرانيين٧:٢٥؛ رومية ٨: ٣٤)، والروح يفحص كل

الأشياء، بما فيها قلوبنا "فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (١كورنثوس ٢: ١٠-١١). ومع أن روح الله يفحص "أعماق الله" إلا أنه لا ينبغي علينا الظن أن هناك انفصال بين الله وروحه. فما نعرفه هو أن الله يعلن لنا عن أشياء كثيرة بروحه في حياتنا. فروحه الذي فينا يوصل الحقائق التي في فكر الله إلى فكرنا. "فأعلنه الله لنا بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله". إذاً فهذه الفقرة تقارن الإنسان وروحه بالله وروحه. فالإنسان ليس شخصين، وكذلك الله.

(أنجيل متى ٢٨: ١٩)

لقد ناقشنا (متى ٢٨: ١٩) في الفصل السادس، وأوضحنا أن هذه الآية تصف إلهاً واحداً له وظائف مختلفة ولكن له اسم واحد. فالإبراز هنا لم يكن للتعددية بل للتوحيد.

الوجود المسبق ليسوع

تشير الكثير من فقرات الكتاب المقدس إلى وجود يسوع قبل بداية حياته البشرية. ومع ذلك، فإن الكتاب المقدس لم يعلن أن وجوده كان منفصلاً أو بمعزل عن الآب. بل على العكس، ففي ألوهيته هو الآب والخالق. فروح يسوع كان موجوداً منذ تشير الكثير من فقرات الكتاب المقدس إلى وجود يسوع قبل بداية حياته البشرية. ومع ذلك، فإن الكتاب المقدس لم يعلن أن وجوده كان منفصلاً أو بمعزل عن الآب. بل على العكس، ففي ألوهيته هو الآب والخالق. فروح يسوع كان موجوداً منذ الأزل لأنه هو الله نفسه. غير أن طبيعة يسوع البشرية لم تكن موجودة قبل التجسد، إلا كخطة مسبقة في ذهن الله. لذلك، يمكننا القول إن روح يسوع كان له وجود مسبق عن

التجسد، ولكن لا يمكننا أن نقول إن الابن كان موجوداً وجوداً مسبقاً قبل التجسد بأي صورة مادية. و (يوحنا ١: ١، ١٤) مثال جيد على التعليم الخاص بوجود يسوع السابق: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً" وبكلمات أخرى، يمكننا أن نقول إن يسوع كان موجوداً منذ الأزل بما أنه الله. وقد وُجِدَت خطة البنوة المستقبلية مع الله منذ البدء- كفكرة في ذهن الله. وفي النهاية، الكلمة صار جسداً- ظهور لله الآب في صورة بشرية. (ولشرح هذا المفهوم وصيغتة في يوحنا ١، انظر الفصل الرابع. وللإطلاع على المزيد عن الابن والوجود المسبق للمسيح، متضمناً مناقشة عبرانيين ١. انظر الفصل الخامس).

دعونا نطبق هذه المفاهيم على مختلف الآيات الكتابية التي تتحدث عن الوجود المسبق للمسيح. فيمكننا أن نفهم (يوحنا٨:٥٨) "...قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن" على أنها إشارة لوجود يسوع المسبق بصفته إله العهد القديم. ويمكننا أن نفهم (يوحنا ٦:٦٢) " فإن رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى حيث كان أولاً" بنفس الطريقة، وقد استخدم يسوع تعبير "ابن الإنسان" كمرادف لكلمة "أنا" وليس للإشارة إلى طبيعته البشرية. ويقول يسوع في (يوحنا ١٦: ٢٨) : "خرجت من عند الآب...". وهذه أيضاً تشير إلى وجوده المسبق بوصفه الله. فطبيعة يسوع الإلهية كانت هي الله الآب، ولذلك فإن المسيح الذي له طبيعتان كان يستطيع أن يقول: "خرجت من عند الآب". وهذه العبارة من الممكن أيضاً أنها تصف الكلمة أو الخطة التي كانت في فكر الله، أن يصير جسداً، ويُرسَل إلى العالم.

وفي (يوحنا ١٧:٥) يصلي يسوع "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم". مرة أخرى، يتكلم يسوع عن المجد الذي كان له بوصفه الله في البدء والمجد الذي كان للابن في خطة وفكر الله. ولا يمكن أن يعني هذا أن يسوع كان موجوداً وجوداً مسبقاً لتجسده بمجده بوصفه الابن. فيسوع

كان يصلي، فلذلك فهو كان يتكلم كإنسان وليس كإله. ونحن نعرف أن الطبيعة البشرية لم يكن لها وجود مسبق للتجسد، لذلك فإن يسوع كان يتكلم عن المجد الذي كان للابن في خطة الله منذ البدء.

تمت مناقشة الآيات الأخرى من الكتاب المقدس المتعلقة بالوجود المسبق ليسوع بوصفه الله في الفصل الرابع والفصل الخامس والفصل التاسع.

الابن المرسل من الآب

يشير (يوحنا ٣:١٧ و ٥: ٣٠) بالإضافة إلى آيات كتابية أخرى إلى أن الآب أرسل الابن.

فهل يعني هذا أن يسوع، ابن الله، هو شخص منفصل عن الله؟ نحن نعرف أن هذا غير صحيح لأن الكثير من الآيات الكتابية تعلمنا أن الله نفسه ظهر في الجسد (٢كورنثوس٥:١٩؛ ١تيموثاوس ٣:١٦). وهو بذل نفسه، ولم يرسل شخصاً آخر (يوحنا ٣:١٦). فالابن قد أُرسِل من قِبَل الآب كإنسان وليس كإله: "...أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة..." (غلاطية ٤:٤). الكلمة "أرسل" لا تنطوي ضمناً على الوجود المسبق للابن أو الوجود المسبق لطبيعته البشرية. فـ (يوحنا ١: ٦) يقول إن يوحنا المعمدان كان إنساناً مرسلاً من الله، ونحن نعلم أنه لم يكن له وجود مسبق لولادته. بدلاً من هذا تشير كلمة "أرسل"إلى تعيين الآب للابن لأجل قصد خاص. فالله أعطى للابن مهمة خاصة. لقد أظهر الله نفسه في الجسد لكي يحقق هدفاً خاصاً. تدعو (عبرانيين ٣: ١) يسوع "... رسول اعترافنا..."، و كلمة رسول تعني "المرسل". ويظهر بوضوح أن إرسال الابن هو تأكيد على الطبيعة البشرية للابن وعلى القصد المحدد الذي لأجله ولد الابن.

المحبة بين الأقانيم (الأشخاص) في الذات الإلهية؟

تستند أحد البراهين الفلسفية الشائعة على التثليث على حقيقة أن الله محبة. والبرهان الرئيسي هو: كيف يمكن لله أن يكون محبة ويظهر حبه قبل خلقه للعالم إلا إذا كان الله متعدد الأقانيم وكل أقنوم يحب الآخر؟ وهذا الأسلوب في التفكير خاطئ لأسباب كثيرة:

أولاً: حتى لو كان هذا صحيحاً فهذا لا يبرهن على التثليث. بل في الحقيقة، يمكن أن يقودنا هذا إلى تعددية صريحة للآلهة.

ثانياً: لماذا يحتاج الله أن يثبت لنا طبيعة حبه الآزلية؟ لماذا لا يمكننا أن نقبل ببساطة أن الله محبة؟ لماذا نحد الله في إطار مفهومنا عن الحب، مفترضين أنه لا يمكنه أن يكون عنده محبة في الماضي الأزلي إلا إذا كان لديه هدف موجود وقتها يوجه له محبته؟

ثالثا: كيف يمكن للحل التثليثي أن يتفادى تعددية الآلهة وفي نفس الوقت يتفادى أن يقول إن الله أحب نفسه؟

رابعاً: لا يمكننا أن نحد الله في إطار الزمن الضيق. فهو يستطيع أن يحبنا، وقد أحبنا منذ الأزل. حتى مع أننا لم نكن موجودين في هذا الوقت، فهو قد رأي وجودنا مسبقاً. فبالنسبة لفكره نحن كنا موجودين وهو قد أحبنا منذ الأزل.

يقول (يوحنا ٣:٣٥ و٥:٢٠ و١٥:٩) إن الأب أحب الابن، ويقول (يوحنا١٧:٢٤) إن الأب أحب يسوع قبل تأسيس العالم. وفي (يوحنا١٤:٣١) يعبر يسوع عن حبه للآب. كل هذه الآيات لا تعني وجود أشخاص منفصلين. (أليس من الغريب أن هذه الفقرات تستبعد الروح القدس من علاقات الحب؟). فما تعبر عنه هذه الشواهد هو العلاقة بين طبيعتي المسيح. فروح يسوع أحب طبيعته البشرية والعكس صحيح. إن الروح أحب الإنسان يسوع كما أحب كل البشر والإنسان يسوع أحب الله كما يجب أن يحب كل البشر الله. وتذكر، أن الابن جاء إلى العالم ليرينا كم يحبنا الله وكذلك ليكون مثالاً لنا. ولأجل تحقيق هذين الهدفين، أظهر الآب والابن حبهما بعضهما لبعض. فقد عرف الله قبل تأسيس العالم أنه

سوف يعلن نفسه كابن. وأحب الخطة منذ البدء. وأحب هذا الابن المستقبلي كما أحبنا كلنا منذ البدء.

نقاط تمايز أخرى بين الآب والابن

تشير الكثير من الآيات في الكتاب المقدس إلى اختلاف بين الآب والابن في القوة والعظمة والمعرفة. ومع ذلك، فإنه من الخطأ أن نستخدم هذه الآيات للتدليل على وجود شخصين في الذات الإلهية، فهذا يعني أن الابن أدنى مرتبة من الآب في الألوهية. وهذا يعني أن الابن ليس إلهاً كاملاً، لأن الله بالتأكيد ليس أدنى من أي أحد. وبالتأكيد فإن الله لديه كل القوة (كلي القوة) والمعرفة (كلي العلم). والوسيلة لفهم هذه الآيات هي النظر إليها كتمييز بين ألوهية يسوع (الآب) وبين بشرية يسوع (الابن). فطبيعة المسيح البشرية أو بنويته خاضعة لألوهيته.

يقول (يوحنا ٥: ١٩) "...لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل...". (انظر أيضاً يوحنا٥:٣٠، ٨:٢٨). ويعلن يسوع في (متى ٢٨: ١٨): "...دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض". مشيراً إلى أن الآب أعطاه هذا السلطان.

وفي (يوحنا١٤:٢٨) يقول يسوع : "...أبي أعظم مني". وتقول (١كورنثوس١١:٣) إن رأس المسيح هو الله. كل هذه الآيات الكتابية تشير إلى أن طبيعة يسوع البشرية لم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً بنفسها ولكن طبيعته البشرية نالت قوة من الروح. فالجسد كان خاضعاً للروح.

ويقول يسوع في حديثه عن المجيء الثاني: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب" (مرقس١٣:٣٢). مرة أخرى، طبيعة يسوع البشرية لا تعرف كل شيء، ولكن روح يسوع يعرف.

يتكلم (يوحنا٣:١٧) عن الابن المرسل من الله. وفي (يوحنا٦:٣٨) يقول يسوع: "لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل

مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني". فيسوع لم يأت من نفسه، هذا بحسب طبيعته البشرية، ولكنه أرسل من الله (يوحنا٧:٢٨، ٨:٤٢، ١٦:٢٨). والابن لم يُعَلِّم تعليمه الخاص، بل تعاليم الآب (يوحنا٧:١٦-١٧). ولم يعلم وصاياه، بل علم وحفظ وصايا الآب (يوحنا١٢:٤٩-٥٠، ١٥:١٠). ولم يطلب مجده الشخصي بل مجد الآب. كل هذه الفقرات تصف الاختلاف بين يسوع كإنسان (الابن) ويسوع كإله (الآب). فالإنسان يسوع لم يولد بطريقة بشرية، كما أنه لم يأت ليظهر طبيعته البشرية. فالروح وضع الخطة، وجعل الطفل يتم الحبل به في الرحم، ووضع في الجسد كل صفات وقدرات الله، وبعد ذلك أرسل الجسد إلى العالم ليظهر الله للعالم. وفي النهاية، فإن هذا الجسد سوف يتمم هدفه. والابن سيخضع لخطة الله كي يكون الله الكل في الكل (١كورنثوس ١٥: ٢٨).

تصف هذه الآيات علاقة طبيعة المسيح البشرية كإنسان مع طبيعته الإلهية كإله. وإذا فسرنا هذه الآيات على أساس أن هناك فصلاً بين شخصيتين، الله الآب والله الابن، فذلك سيسبب تعارضاً. فسيكون لدينا الله الابن الذي لديه الصفات التالية والتي تعني أنه لا يمكن أن يكون هو الله إذ بهذا فلن يكون له أي قوة بنفسه؛ ولن يكون لديه المعرفة الكاملة، كذلك فلن يستطيع أن يفعل إرادته؛ كما أن هناك شخصاً آخر أعظم منه؛ وهو جاء من عند شخص آخر وكان من الممكن أن يفقد شخصيته المتفردة في بعض المواقف. وهذه الحقائق الكتابية تتعارض مع مفهوم "الله الابن".

فقرات «عند»

كيف يمكننا أن نفسر استخدام كلمة "عند" في (يوحنا١:١-٢ و ١يوحنا ١:٢)؟

يقول (يوحنا ١:١) "...والكلمة كان عند الله..."، ولكن بعد ذلك يقول وكان الكلمة الله. وكما تم التوضيح في الفصل الرابع، فالكلمة هو الفكرة أو الخطة أو التعبير في فكر الله. وبهذه الطريقة فقط يمكن للكلمة أن يكون عند الله وفي نفس الوقت يكون هو الله نفسه. وعلينا أن ننتبه إلى أن الكلمة اليونانية "pros" والتي ترجمت هنا "عند"، ترجمت في (عبرانيين٢:١٧ و٥:١) "فيما" لذلك فإن الكلمة كان عند الله تأتي هنا بمعنى الانتماء إلى الله وليس بمعنى أنه شخص مستقل منفصل عن الله. والأكثر من هذا، إذا كان الله في (يوحنا١:١) يعني الله الآب، إذا فالكلمة بذلك لن يكون شخصاً مستقلاً حيث أن هذه الآية سوف يتم قراءتها بهذا الشكل: "الكلمة كان عند الآب، وكان الكلمة الآب". ولجعل هذه الآية تشير إلى تعدد في الأقانيم الإلهية فهذا يستلزم تغييراً في توصيف الله في منتصف الآية.

علينا أن نلاحظ أيضاً أن (١يوحنا١:٢) لا تشير إلى أن الابن كان عند الله منذ الأزل. ولكن تقول إن الحياة الأبدية كانت عند الآب. وبالطبع، فإن يسوع المسيح أظهر لنا الحياة الأبدية. فهو كلمة الحياة في الآية الأولى. ومع هذا فإن ذلك لا يعني أن الحياة الأبدية وجدت كأقنوم مستقل عن الله. بل تعني ببساطة أن الآب يمتلك حياة أبدية في نفسه – فقد كانت عنده – منذ البدء. وقد أظهر لنا هذه الحياة الأبدية في ظهوره بالجسد، في يسوع المسيح.

الشاهدان

يقول يسوع "...لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني. وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق. أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الآب الذي أرسلني" (يوحنا٨:١٦-١٨). وقبل هذه الآيات مباشرة يقول يسوع "...أنا هو نور العالم..." (الآية ١٢). وكان هذا تأكيداً على دوره فأنه المسيا (إشعياء٩:٢؛ ٤٩:٦). ويرد الفريسيون "...أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقاً" (يوحنا٨:١٣). وفي رده على اتهامهم، يوضح يسوع أنه ليس الشاهد الوحيد، بل هناك شاهدان يشهدان على حقيقة أنه المسيا، ابن الله. هذان الشاهدان هما الآب (الروح الإلهي) ويسوع الإنسان. بمعنى آخر، كل من الله الآب والإنسان يسوع يستطيعان أن يشهدا على أن الآب ظهر في الجسد، في يسوع. فيسوع كان إلهاً وإنساناً و كلاً الطبيعتين تشهدان على هذه الحقيقة. ولا يوجد ضرورة لافتراض وجود أقانيم مستقلة في ذات الله لفهم هذا. وفي الحقيقة، إذا افترضنا أن الشاهدين هنا أقنومان منفصلان في الثالوث، فعلينا أن نفسر عدم قول المسيح إن هناك ثلاثة شهود. فرغم أن الناموس يطلب شاهدين ولكنه يطلب ثلاثة شهود إذا كان ذلك ممكناً (تثنية ١٧:٦؛ ١٩:١٥). وعندما أشار يسوع إلى أبيه، سأل الفريسيون يسوع عن الآب، متسائلين عن الوقت الذي قد شهد فيه الآب لهم. وبدلاً من أن يجيب بأن الآب هو شخص مستقل في الذات الإلهية، استمر يسوع في الدمج بين نفسه وبين الآب في قوله "أنا هو" كما في العهد الجديد (يوحنا٨:١٩-٢٧). لقد كان الشاهدان هما روح الله والإنسان يسوع وكلاهما شهدا أن يسوع كان الله الظاهر في الجسد.

استخدام صيغة الجمع

أشار يسوع في عدد من المرات إلى الآب وإلى نفسه بصيغة الجمع. وهذه الفقرات موجودة في إنجيل يوحنا، الكاتب الإنجيلي الذي أشار أكثر من غيره إلى أن يسوع هو الله والآب، ولذلك من الخطأ أن يفترض أي شخص أن استخدام صيغة الجمع تعني أن يسوع هو أقنوم مختلف في الله عن الآب. ولكنها تشير إلى تمييز بين الألوهية (الآب) والبشرية (الابن) في يسوع المسيح. فالابن المنظور أعلن الآب غير المنظور. لذلك قال يسوع "...لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً" (يوحنا٨:١٩)؛ "...لم يتركني الأب وحدي..." (يوحنا٨:٢٩)؛ "الذي يبغضني يبغض أبي أيضاً" (يوحنا١٥:٢٣)؛ "... وأما الآن قد رأوا وأبغضوني أنا وأبي" (يوحنا١٥:٢٤)؛ "...وأنا لست وحدي لأن الآب معي" (يوحنا١٦:٣٢). تستخدم هذه الآيات الكتابية صيغة الجمع للتعبير عن موضوع راسخ: أن يسوع ليس مجرد إنسان فقط، بل هو الله أيضاً. فيسوع لم يكن إنساناً عادياً كما كان يبدو ظاهرياً. فهو لم يكن وحده ولكن روح الآب كان معه. هذا يوضح الطبيعة الثنائية ليسوع ويؤكد على وحدانية الله.

كيف كان الآب مع يسوع؟ التفسير المنطقي هو أنه كان في يسوع. لذلك، إذا عرفت يسوع فأنت تعرف الآب وإذا رأيت يسوع فأنت ترى الآب؛ وإذا أبغضت يسوع فأنت بذلك تبغض الآب. في (٢يوحنا٩) يقول الكتاب: "...ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً".

فما هو تعليم المسيح؟ إنه التعليم القائل بأن يسوع هو المسيا؛ إنه إله العهد القديم الذي ظهر في الجسد. وبكلمات أخرى، لقد كتب الرسول أنه إذا فهمنا تعليم المسيح سندرك أن يسوع هو الآب والابن. ولذلك فإننا لا ننكر الآب أو الابن. فعندما نقبل تعليم المسيح، نحن نقبل تعليم الآب والابن معاً. وصحيح أيضاً أنه إذا أنكرنا الابن فنحن ننكر الآب، ولكن إن اعترفنا بالابن فنحن نعترف بالآب أيضاً (١يوحنا٢:٢٣).

وتوجد فقرة أخرى تستخدم صيغة

الجمع وهي موجودة في (يوحنا١٤:٢٣) وهي تستحق اهتماماً خاصاً "أجاب يسوع وقال له إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً." ولفهم هذه الآية علينا أن ندرك أن الرب لم يكن يتكلم عن حلوله جسدياً فينا. وأيضاً، إذا كان هناك روحان لله، روح للابن وروح الآب؛ إذاً فهناك على الأقل روحان في قلوبنا. مع أن (أفسس٤:٤) تعلن أنه هناك روحاً واحداً. و نحن نعرف أن (يوحنا١٤:٢٣) لا تعني حلولاً جسدياً لأن يسوع قال: "في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم" (يوحنا١٤:٢٠). وبالتأكيد نحن لسنا في المسيح بشكل مادي. إذا فماذا تعني هذه الفقرة؟ أنها تعني نوعاً من الوحدة – فكر واحد وهدف واحد، وخطة واحدة وحياة واحدة – مع المسيح. وهذه هي نفس الفكرة التي تظهر في (يوحنا ١٧:٢١-٢٢) عندما صلى يسوع: "ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك. ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد".

ومع هذا يبقى سؤال، لماذا استخدم يسوع صيغة الجمع في الحديث عن اتحاد المؤمنين مع الله؟ بالطبع، فقد خطط الله للخلاص لكي يصالح المؤمن مع نفسه. غير أن الإنسان الخاطئ لا يمكن أن يصل إلى الله القدوس، والإنسان الفاني لا يمكن أن يدرك الله غير المحدود. الطريقة الوحيدة التي من خلالها نستطيع أن نتصالح مع الله ونفهمه هي من خلال إظهاره لنفسه في الجسد، بواسطة الإنسان يسوع المسيح الذي بلا خطية. عندما نصبح واحداً مع يسوع، فإننا نصبح بالتبعية واحداً مع الله، لأن المسيح ليس فقط إنساناً بل إلهاً أيضاً. لقد استخدم يسوع صيغة الجمع للتأكيد على أنه متحد مع الله، علينا أن ننال الفداء بدم يسوع أولاً لكي نتحد مع الله" لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح" (١تيموثاوس٢:٥). وليس أحد يأتي إلى الله إلا بالمسيح (يوحنا١٤:٦). ولكي نكون

محقين عقائدياً، علينا أن نعترف بأن يسوع قد جاء في الجسد (١يوحنا٤:٢-٣). وعندما يكون لنا المسيح، فلنا الآب والابن كلاهما (٢يوحنا٩). فاتحادنا مع الآب والابن ليس اتحاداً مع أقنومين (شخصين) في ذات الله، ولكن ببساطة هو اتحاد مع الله بالإنسان يسوع: "أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (٢كورنثوس ٥: ١٩).

وهناك طريقة أخرى للتفكير بشأن وحدتنا مع الله عن طريق تذكر المهمتين أو العلاقتين المختلفتين الممثلين في الآب والابن. والمؤمن يتاح له خواص هذين الدورين، مثل أن الآب كلي القدرة بينما الابن له الكهنوت والخضوع. فهو لديه الآب والابن. لكنه يقبل كل هذه الخواص الإلهية عندما يقبل روح الله الواحد، الروح القدس. لا يقبل المؤمن روحين أو ثلاثة أرواح. إن السكنى الجسدية لله عند المؤمن تدعى هبة (أو معمودية) الروح القدس، وهذه الهبة تجعل كل صفات وأدوار الله متاحة لنا "لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد..." (١كورنثوس ١٢:١٣).

من جهة ثانية، إذا أراد شخص أن يفسر يوحنا١٤:٢٣ و١٧:٢١-٢٢ على أنه وصف للوحدة بين شخصين منفصلين في ذات الله، فعليه بالتالي، لكي يكون متوافقاً مع نفسه، أن يفسر النص الكتابي على أنه يعني أن المؤمنين سيصبحون أعضاءً في الذات الإلهية تماماً مثل يسوع. إذا فمن الواضح أن هذه الفقرات تصف الوحدة مع الله التي نالها ابن الله والتي يمكننا أن ننالها بالإيمان وبالطاعة للإنجيل. (وبالتأكيد، فإن يسوع هو أيضاً واحد مع الآب من ناحية أنه الآب، ولكن هذه الوحدة لم تكن الوحدة التي تصفها تحديداً هذه الآيات الكتابية).

الحوارات بين الأقانيم (الأشخاص) في الذات الإلهية؟

لا يوجد تسجيل في الكتاب المقدس لأي حوار بين أقنومين إلهيين، ولكن هناك الكثير من التمثيلات لتبادل الأفكار بين طبيعتي المسيح. وعلى سبيل المثال، تقدم صلوات المسيح صورة طبيعة المسيح البشرية وهي تطلب المساعدة من روح الله الأبدي.

يسجل (يوحنا١٢:٢٨) طلب يسوع من الآب أن يمجد اسمه. وقد أجاب صوت من السماء على هذا الطلب. يوضح هذا أن يسوع كان إنساناً على الأرض لكن روحه هو الله الحاضر في كل مكان في الكون. لم يأت الصوت لأجل يسوع، بل لأجل الناس (يوحنا١٢:٣٠). فالصلاة والصوت من السماء لم يشكلا حواراً بين أقنومين إلهيين؛ ولكن يمكن القول إنه يمثل تواصلاً بين طبيعة يسوع البشرية وطبيعته الإلهية. لقد كان الصوت شهادة للناس من روح الله تعلن عن التأييد الإلهي للابن.

يقتبس (عبرانيين ١٠: ٥-٩) فقرة نبوية من (مزمور ٤٠: ٦-٨). وفي هذا الوصف النبوي لمجئ المسيا، يتكلم المسيح كإنسان إلى الله الأزلي، معبراً عن خضوعه وطاعته لإرادة الله. هذا المشهد يشبه أساساً مشهد صلاة المسيح في جثسيماني. ومن الواضح أن المسيح يتحدث كإنسان لأنه يقول: "... هيأت لي جسدا..." (الآية٥) و"...هاأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله" (الاية٩).

وإيجازاً، فإن الكتاب المقدس لم يسجل أي حوار بين أقانيم في ذات الله، ولكن بين الطبيعتين البشرية والإلهية. وأي تفسير لهاتين الطبيعتين كأقنومين إنما يقودنا للاعتقاد في وجود إلهين على الأقل. (ومن الغريب جداً أن الروح القدس لم يكن أبداً جزءاً من هذه الحوارات!). والقول بوجود "أقانيم" يفترض وجود قوى عاقلة منفصلة داخل الذات الإلهية الواحدة، وهي فكرة لا يمكن فصلها عن الاعتقاد في تعددية الآلهة.

المعزي الآخر

وعد يسوع في (يوحنا١٤:١٦) بإرسال (معز آخر). وفي الآية السادسة و العشرين عرَّف يسوع هذا المعزي أنه الروح القدس. هل يعني هذا أن الروح القدس هو أقنوم آخر في الذات الإلهية؟ لا، فالواضح من السياق أن الروح القدس هو ببساطة يسوع في صورة أخرى أو تجل آخر. وبمعنى آخر، فإن "المعزي الآخر" هو يسوع في الروح في مقابل يسوع في الجسد. ويخبر يسوع تلاميذه في (الآية السادسة عشرة) عن المعزي الآخر. ثم يخبرهم يسوع في (الآية السابعة عشرة) أنهم يعرفون المعزي بالفعل، لأنه مكث معهم ويكون فيهم. فمن كان مع التلاميذ في هذا الوقت؟ يسوع، بالطبع. فروح يسوع كان يسكن مع التلاميذ منذ أن ارتدى روح الله جسداً، ولكن سريعاً ما سيكون الروح مع التلاميذ من خلال عطية الروح القدس. يوضح يسوع هذا أكثر عندما يقول في (الآية الثامنة عشرة) : "لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم".

صعد يسوع إلى السماء في جسده الممجد ولذلك تمكن من إقامة علاقة جديدة مع تلاميذه، بإرسال روحه مرة أخرى كالمعزي. فهو قال لهم: "...خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن أن ذهبت أرسله إليكم" (يوحنا١٦:٧). فالروح القدس هو روح المسيح (رومية ٨:٩؛ ٢كورنثوس٣:١٧-١٨). عندما يكون الروح فينا فإن المسيح يكون فينا (أفسس ٣: ١٦-١٧).

وباختصار، فإن يسوع مكث مع تلاميذه بالجسد لمدة ثلاث سنوات تقريباً، ولكن جاء الوقت ليرحل. ومع هذا، فقد وعدهم ألا يتركهم وحيدين وبائسين ويتامى. لذلك وعدهم بأنه سيأتي ثانية في صورة مختلفة. ذلك لا يعني أنه سيأتي في جسد مادي لكي يسكن معهم ويكون بذلك محدوداً في هذا الجسد، لكنه كان سيعود في الروح وبذلك يمكنه أن يمكث معهم. وبالتالي فالمعزي والروح القدس هو روح يسوع. وهذا ظهور ليسوع بطريقة جديدة؛ فيسوع يستطيع أن

يكون معنا وفينا. ويستطيع أن يكون في كل تلاميذه في كل العالم في نفس الوقت ويستطيع أن يفي بوعده أن يكون معنا كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر (متى٢٨:٢٠).

هل يسوع والآب واحد في الهدف فقط؟

في (يوحنا١٧:٢١-٢٢)، نقرأ أن المؤمنين يجب أن يكونوا واحداً بعضهم مع البعض كما أن يسوع كان واحداً مع الآب. فهل هذا ينقض إيماننا بأن يسوع هو الآب؟ لا، ففي هذه الفقرة يتحدث يسوع كإنسان – باعتباره الابن. وهذا واضح لأنه كان يصلي للآب والله لا يحتاج أن يصلي. فبطبيعته البشرية، كان يسوع واحداً مع الآب بمعنى الاتحاد في الهدف والفكر والإرادة. وبهذا المعنى، يستطيع المؤمنون أيضاً أن يكونوا واحداً مع الله وواحداً مع بعضهم البعض (أعمال٤:٣٢؛ ١كورنثوس٣:٨؛ أفسس٢:١٤).

علينا أن نتذكر أن الابن ليس كالآب. إن اللقب المسمى"الآب" لم يشر إطلاقاً إلى الطبيعة البشرية، ولكن اللقب المسمى"الابن" يشير إليها. وبالرغم من أن يسوع هو كل من الأب والابن، إلا أننا لا نستطيع أن نقول إن الآب هو الابن.

ويتكلم يسوع في (يوحنا١٧:٢١-٢٢) كإنسان، ولم يقل إنه الآب. ولكن بعض الفقرات الأخرى تصف وحدة يسوع مع الآب بطريقة تتجاوز مجرد الوحدة في الهدف، وبطريقة تشير إلى أن يسوع هو الآب. وهذا مستوى أعلى من الوحدة الذي يتجاوز إدراكنا لأنه يتكلم عن ألوهيته المطلقة. فعندما قال يسوع: "أنا وأبي واحد"، فهم اليهود بشكل صحيح أنه يعني أنه الله، وحاولوا أن يقتلوه (يوحنا١٠:٣٠-٣٣). وفي هذا الموقف، لم يعبر فقط عن وحدته مع الله بل قال إنه الله. وقال يسوع أيضاً: "...الذي رآني فقد رآي الآب..." (يوحنا ١٤: ٩).

وأيا كان عمق وحدة المؤمن مع الله، فهو لا يستطيع أن يقول مثل هذه العبارة. وأيا كان عمق الوحدة بين اثنين من المؤمنين، فأحدهم لا يستطيع أن يقول" من رآني، فقد رآى صديقي". ونفس الأمر

أيضاً بين الزوج والزوجة، بالرغم من أنهما صارا جسداً واحداً (تكوين ٢: ٢٤). من ثم، فإن الوحدة بين يسوع والآب تعني أكثر من الوحدة التي يمكن أن تتحقق في العلاقات البشرية. فكإنسان كان يسوع واحداً مع الآب في الهدف والفكر والإرادة (يوحنا١٧:٢٢). وكإله فيسوع واحد مع الآب لأنه هو الآب (يوحنا١٠:٣، ١٤:٩).

الخلاصة

في الختام، لا يوجد في الأناجيل أي عرض لأقانيم (أشخاص) في الذات الإلهية. ولا تعلم الأناجيل عقيدة التثليث، بل ببساطة تعلم أن يسوع لديه طبيعتان، طبيعة بشرية وطبيعة إلهية، روح وجسد، وابن وآب. وهناك إشارات بصيغة الجمع إلى الآب والابن في إنجيل يوحنا، ولكن هذا الإنجيل تحديداً يعلم عن ألوهية يسوع المسيح ووحدانية الله أكثر من أي إنجيل آخر. وعندما نفحص هذه الإشارات بصيغة الجمع نجد أنها بعيدة جداً عن التناقض مع التوحيد، بل في الحقيقة تؤكد على أن يسوع هو الإله الواحد وأن الآب أعلن نفسه في الابن.

وفي الفصل التالي، سنتحول إلى أسفار العهد الجديد الأخرى، الأعمال والرسائل والرؤيا، لنستكمل دراستنا. ومثل الأناجيل، فإن هذه الأسفار تعلم وحدانية الله بدون أي حديث عن أقانيم (أشخاص) منفصلة داخل الله. [1]

1- " Trinity, Holy (In the Bible" The New Catholic Encyclopedia ,XIV, 406